

ولا يمكن ان يقوم مقامها ما يؤدي معناها - والنظر في العقود والمرافعات يعرف مقدار ما عليه هؤلاء العمال من القصور على تفاوت بينهم . ويكفي في هذا الباب ان أحد كبراء الحكومة لم يستطع ان يفهم عقداً عقده لنفسه الا بواسطة احد مفتشي الحقاية حيث فسره له وأوضح معناه فما ظنك بحال غير المتماقدين

ولكنك ترى في مرتباتهم ما يندم لهم معه العذر فالكاتب الذي يقيم ثمانى وعشرين سنة او اكثر يتردد بين مائتي قرش وثلثمائة وخمسين وهو كاتب اول المحكمة ولا يطلب لنفسه معيشة أرقى من هذه لا يمكن ان تكون معارفه أرقى مما هو عليه الا ان يكون زاهداً من الزهاد . نعم لا يوجد في مراتب الكثير من الكتبة ما ينتمي الى الف قرش الا في محكمتي مصر والاسكندرية وفي محكمة مصر مراتب أرقى من ذلك للكتبة ما بين العشرة والاربعين ولكن لا توجد قاعدة للترقى بحيث يتاوب هذه الوظائف ذات المرتبات العالية رؤساء الكتاب في المديرية والمحافظات بل حفظت الوظائف لاشخاص معينين متى دخلوها خلدوا فيها وكذلك حال الوظائف التي تربو على خمسمائة قرش في المديرية والمحافظات أما في المراكز فقليل ما يزيد مراتب الكتاب عن ثلثمائة وخمسين قرشا وأضف الى ذلك اختلاط ارباب الحاجات بالكتاب وما تجده من الفوضى في كثير من المحاكم فصغار الكتبة لا يخضعون لرؤسائهم وضعف القاضي في المعارف الكتابية يعين على ذلك وفي هذا من الخلل ما لا يخفى

أما عدد الكتبة فربما كان دون ما ينبغي بحاجات المحاكم في الجملة وان كان يوجد في بعض المحاكم ما يزيد عما يكفيها .

(البقية بعد)

باب الترتيب والتعلم

أميل القرن التاسع عشر

(١٣) من هيلانه الى اراسم في ٢٨ مارس سنة - ١٨٥

خرجت بالامس للتره أنا والسيدة وارنجتون راكتين عجلة مكشوفة

سلكت بنا المهيع الذي يبتدىء من بنزاس ويلتف حول الخليج المسمى
بخليج الجبل على شكل نصف دائرة عظيمة كحذاء الفرس فما أبهج ما رأيته
وأجمله !! لا تحسبن ان أول شيء امال ذهني ونبه فكري هو البحر الزاخر أو
شواطئه المرصعة بالصخور أو حركة أمواجه المتلاطمة المتماقبة في تلاشيها على
رمل الطريق . كلا ان الذي استوقف نظري هو قطعة من الصوان يعلوها
بناء كالدير أو القلعة الحصينة يسميها الانكليز بالجبل وهي بارزة على يسار
بطن الخليج ولذلك نسب اليها فليل له خليج الجبل . اخالني رأيت هذه
الصخرة بما فوقها من الابراج الصغيرة في منام لي أو في وقعة من وقعات
الكابوس علي .

سألت السيدة وارنجتون بصوت منقطع من الرعشة عن هذا الشبح
الحجري فأجابني مترددة لما رأيته من حالي بقولها هذا هو جبل القديس
ميكائيل عندنا فلما سمعت منها هذه الكلمة أحسست بان كل مافي جسمي
من الدم قد جزر عائداً الى قلبي فلمجت ما صرت اليه من الاضطراب
وعرضت علي الرجوع الى المنزل فصحت ككلا انه لا بد لي من الذهاب اليه
وقد اضطررنا من أجل ذلك الى الطواف حول الخليج والذهاب الى مرازبون .
لما ان صرنا حذاء الجبل كان البحر في ابان جزره وكانت هذه الصخرة
الصوانية على شكل شبه جزيرة لانحسار الماء عن بعض جهاتها بعد ان
كانت جزيرة كاملة بعض ساعات من النهار . سلكنا للوصول اليها شعباً
رملياً موحلاً يكتنفه من الجانبين قطع من الصخور مغطاة بالطحلب والعلقي (١)
المبللة وتيسر لنا به ان نجتاز البحر يبسا . فيما كان يعرض لنا من تلك القطع

(١) العلي نبت يكون واحداً وجمعا قضبانه دقاق عسر رصها يتخذ منه الكانس

الصخرية كنا كأننا نشي بيز، أطلال وكننت كما جدنا بنا السير أزداد دهشة
وارتياحاً لتشابه ذينك الجبيلين المتحدتي الاسم. فان هذه الصخرة بما فوقها من
البناء وما حولها من البحر تكاد تكون عين التي في بلادنا الا ان ذلك أسعد
حظاً من هذا فانه لم يدنس بأخذه سجناً في زمن من الأزمان

أفضى بنا المسير بعد حين الى سفح ذلك الجبل فاذا حوله لقيف من
مساكن حقيرة يتألف من مجموعها قرية للصيادين والملاحين فوقفنا تشرف
علينا الصخرة الصوانية من سموها المريع ثم اقتنحناها فاضطررنا في ذلك
الى الصمود على شهب بل سلم نحتت درجاته في الصخرة وقد انتهى الامر
بالسيدة وارتجتون الى ان ضاقت أنفاسها وطفقت نلث من شدة التعب
فدعوتها الى الاستراحة على كتلة من كتل صخرية كانت تعترضنا في طريقنا
ويظهر انها خرجت من باطن الجبل بسبب انفجار ناري فما كان أسرع
مأجابت وجلسنا طائفة من الزمن لانبس بكلمة لما أدهشنا من مشهد
العظم والخراب فكان البحر محققاً بنا وذلك البناء القائم الذي هو من آثار
القرون الوسطى فوقفنا وعن ايماننا وعن شمائلنا اطلال من الصخر يغطي
جزأ من عريها بعض الاعشاب البرية. وقد رأيت على مافي هذا المكان
من المحول زهرة زرقاء نابتة في صدوع الصخر على طبقة خفيفة من بقايا
الاعشاب المتفنة فقطعتها على ذكراك لعلها تكون بشرى السعادة. كنت
الى هذه الساعة التي رأيت فيها جبل القديس ميكايل مترددة في اختيار
البقعة التي اتخذها متبواً وسكننا أما الآن فقد استقر لجرد مشاهدته رأيت
وزال ترددي. فكأنما يوجد شيء من السحر في أسماء الامكنة وأشكالها
تغلب على فكري فحملني على ترجيح الإقامة بهذا المحل. على انه لا بدع ولا

سحر. أليس هاتان الصخرتان اللتان تترآيان وتتناغيان مع فصل المحيط بينهما
سوها جبلا القديس ميكائيل في انكرا وفرنسا أختين متشابهتين في جميع
الصفات والاضاع . ان أول هذين الحصنين وهو حصن الانكليز كان حظه
من كر السنين عليه الترك والاغفال أما ثانيها وهو حصننا فان له صراخاً يصل
الى كبد السماء دالاً على استبشاع حالته وأمله في الخلاص منها .

ذهبنا في نفس ذلك اليوم لزيارة المنزل الذي أوصاني الدكتور وارنجتون
باستجاره وقد علمت بان مؤسس قرية مرزيون التي هو فيها هم اليهود الذين
كانوا يتجرون فيها بالقصدير قبل ميلاد المسيح بزمن مديد واني لقي شك
من وجود كثير من ذريتهم الآن في هذه القرية فانه لم يبق من دلائل
وجودهم في هذه الجهات الا اسم واحد وهو (اميرسيون) قد ارتاحت نفسي
له لاني تذكرت به فرنسا. تألف تلك القرية من جملة مساكن جديدة على
بعضها مسحة من طلاوة المدينة الانكليزية وهي قائمة من الخليج على شاطئه
المقابل لجبل القديس ميكائيل الذي يترآى معها على بعد. فلها في ذلك منظر
ذو بهاء وجلال محاسنه ان هذا الخليج وهو تلك القطعة الجميلة من الماء التي
تكتنفها الرمال المتقطعة بالصخور خصوصاً ما هو منها جهة الشاطئ المقابل
للسنازل تكثر فيه حركات الامواج المعتدلة التي تسكن آلام النفس
وتخفف من برحائها

بقي عليّ الآن ان أحدثك عن المنزل فأقول . انه لا ينقصه شيء من
المثانة والرصانة لانه كله مبني بالصوان الذي يكثُر في هذه الجهة دون غيره
ولما كانت مادته شديدة الصلابة تعاصى على النقش اعتاد البنائون على
الاكتفاء في اعداده للبناء بترقيق قطعه ومن أجل ذلك كانت ظهور جدران

المساكن في الجملة خشنة وغير مستوية وطريقة البناء في الداخل تخالف كذلك طريقتنا فيه مخالفة عظيمة لانهم لا يقتصرون هنا على فصل البيوت بعضها عن بعض بحيث لا تتلاصق بل انهم يفصلون بين الغرف أيضا بحيث تكون المعيشة عزلة تامة

ذلك البيت قائم على ربوة رملية قاحلة فلذلك أخشى ان يكون معرضاً لهبوب الرياح الشديدة الآتية من البحر. لكن الناس يؤكدون لي ان هذه الرياح التي تهب من هذه الجهة تكون فآرة صحية في جميع فصول السنة. أما الاثاث فهو في غاية البساطة والملائمة لحالتي. واكثر ما دهشت له في هذا البيت هو اني وجدت في الطبقة العليا منه غرفتين منفصلة احدهما عن الاخرى تمام الانفصال ليس لهما في ذاتهما شيء يمتازان به امتيازاً ظاهراً لكنهما على هذه البساطة قد أحسن البناء وضمهما فكان لهما أجمل منظر وأحسن موقع تشرق عليه الشمس فالضوء يسبح فيهما بلا حجاب يعترضه لان نوافذهما لما كانت تتلقاه بالكرام تكاد تكون مجردة من الستائر وهذا منها نوع من الادب والترحيب بلسان الحال فكأنها تقول له. هفضل فهذا محلك لا يمتك منه مانع نعم ان عليها من الخارج بعض قضبان من الحديد. انقبض قلبي لرؤيتها أول مرة الا ان هذا الانفعال السيء قد زال عند ما علمت بان هذا المحل هو حجره الاولاد. وان هذه القضبان لم توضع الا لمنع ما عساه يقع من الحوادث التي تكثر عادة من الاطفال بما يلزم منهم من التهور والجهل بالخطر فهي اذن وسيلة من وسائل التحفظ لاعلامه على الاسر. في احدى هاتين الغرفتين ينام الاطفال وفي الاخرى يلعبون في النهار اذا كان الجو بارداً او السماء ممطرة وقد اكد لي الناس هنا

ان هاتين الحجرتين يوجد لهما نظيرتان في كل بيت من بيوت الانكليز
الثامة المنافع والمرافق

لا انكر عليك ان هذا الامر قد أثر في نفسي فان معظم الدور عندنا في
باريس تامة البيوت والغرف والمرافق اللازمة وهي غرفة الأكل وقاعة
الاستقبال وحجرة النوم والمكتب ومخدع الخلوة وغيرها مما يطابق عادات
الرجل الدنيوي واهواء المرأة المترية فلم ينس فيها إلا ما يلزم لشخص واحد
ألا وهو الطفل

الطفل عندنا بسبب اضطراره الى ملازمة الكبار في معيشتهم وتقضيته
الايام والليالي في غرفة واحدة مع والدته العصبية الرقيقة المزاج ووالده المثقل
بالاعمال لا بد ان يكون ضيفاً مقلماً لفرد وأسيراً كاسف البال في نفسه .
فانه لا مندوحة من ان تمتد يده الى الاثاث فنقطعه وتتاول الكتب فتمزقها
والآنية الصينية فتكسرهما ويجر عليه هذا الترق وما ينشأ عنه من الانلاف
الخفيف توييخا مستمرا . فيقرعه والداه ويعاقبانه على نشاطه وسروره ولغظه
اعني على كونه طفلا

وليس هذا كل ما يلاقيه عندنا فانه أحيانا قد يطرد من مسكن أبويه
لضييق المحل فلا يجد له مأوى سوى فناء المنزل وأنت تدري ماهي أفنية
البيوت في معظم المدن الكبيرة انها ليست الا جحور ضباب . قد فهم الانكليز
مقنضيات المعيشة المنزلية من حيث سكنى الاولاد أحسن مما فهمناها بكثير
فهم يعتبرون المولود عندهم شخصا مستقلا فيفردونه بحجرة قائمة بذاتها .
الى الآن لم أصف لك شيئا من بستان البيت على انه هو الذي أخذت بهجته
ونضارته بلي . ليس لهذا البستان سور من البناء وانما هو محاط بسياج من

النبات تطرد في شهر يونيو على ما يقال شجيرات الرثم الشوكية (١) ذهباً من أزهارها المسجدية . من أجل ان تصور جمال هذا البستان مثل لنفسك نحو اكرين (٢) أرضاً تقطيبها جميعاً شجيرات الورد وعنب الثعلب وغيرها من الأشجار الصغيرة . وانما كان ما في هذا البستان شجيرات لان أرضه رملية ومجاورة للبحر فهي لا تصلح للأشجار الكبيرة ولكن قد أنشأت تفتيح بين اعشابه العطرية عيون بمض أزهاره البنفسجية فكيف يكون جماله بعد خمسة اوسنة اسابيع اذا كساه الربيع بلا حساب مالم يده من حلل البهاء والنضارة .

قد استأجرت المنزل وسأسكنه في الاسبوع المقبل . اما الآن فأنا ساكنة عند السيده وارنجتون التي تحوطني بانسها الدائم وكرمها العامر . كل ما انا فيه من وسائل النعيم الآن يؤلمني وأؤبخ نفسي عليه عند ما اذكر سجنك وما انت فيه من الضيق والألم

أنا متطلعة لاخبارك ايها الحبيب فارجو ان توافيني بشيء منها فهل خفت عليك . ميثقة البجن بسبب تغيير المحل اوزادت ثقلاً . اسألك بالله ان تصدقني الحديث ولا تخفي عني منه شيئاً

وفي الختام اقبلك من وراء تلك البحار التي تحول بيني وبينك لكنها لم تفرق بين قلوبنا . اه

(١) الرثم شجرة ذات أزهار صفراء اصلها من اسبانيا

(٢) الذي في الاصل اكر وهو مقياس سطحي قدره ٤٨٤٠ ياردة مربعة وأحده محرفاً عن الاكارة القرية في المعنى منه لانها في عرف الفقهاء ما يعطى من الارض الاكارة لزراعتها

